الادب في التصور الإسلامي

ذو الحنان

مدرس اللغة العربية بجامعة رادين إنتان الإسلامية الحكومية لامفونج

Abstract

The article explores the scientific references containing literary concepts in Islamic perspectives, including its characteristics and criteria. The references are the expression of life values that relate to human beings and universe. In this case, Islam provides several guidelines that should be followed in order to achieve the sustainability of human beings and universe life.

Abstrak

Tulisan ini mengeksplorasi literatur ilmiah yang berisi konsep sastra dalam perspektif Islam, termasuk karakteristik dan kriterianya. Literatur tersebut merupakan ekspresi nilai-nilai hidup yang berhubungan dengan manusia dan alam semesta. Dalam hal ini, Islam memberi beberapa acuan yang mesti dipegangi agar tercapai kesinambungan kehidupan manusia dan alam semesta.

أ. مفهوم الأدب الإسلامى

تحدثنا عن الأدب، فطبعاً يحتاج إلي الآراء السليمة، لأن الأدب نفسه يتحدث عن تقاليد الإنسان و عاداتهم. ويقصد بالأدب مجموعة الحقائق التي نستنتجها من النصوص الشعرية والنثرية المؤلفة في عصر ما.[1] والأدب أيضاً هو الإنتاج الفكري العام للأمة. فأدب أمة معينة ينعي كل ما أنتجه أبناء هذه الأمة في شتى ضروب العلم والمعرفة، سواء كان ذلك في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو التربية أو التاريخ أو الطب أو الرياضيات أو غير ذلك من مجالات المعرفة الإنسانية. و يضاف إلى ذلك فإن الأدب تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية، و بعبارة أخري فإن الأدب تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان. و كثيراً ما يفزع الإديب إلى الأدب شعره أو نثره ليفرغ فيه مكنون نفسه من لواعج الألم أو بهجة السرور أو شقوة الحظ أو تباريح الهوى أو غير ذلك فيهدأ بالاً و يستريح نفساً و يرضى لينصرف إلى ما هو بسبيله تفكيراً و عملاً و في ذلك خيره و خير الإنسان.[2] و كثيراً أيضاً ما يعترى الإنسان هم أو يصادفه نجاح أو تمر به سعادة فيلجأ إلى أدب المحزونين ليسرى عن نفسه همه. أو أدب ذوى النجاح والسعداء ليتغنى بنجاحه هو وسعادته. و قد تلم بالفرد ضائقة فيلجأ إلى أدب القرآن الكريم أو السنة النبوية يستشفى به، و ليس من شك في أن شفاء النفس يدفع إلى العمل الجاد المثمر. و من ثم فإن الأدب لون من ألوان شائق محبب، وتلحينه يغرى الإنسان به، ويزيد من حماستهم له، و إقبالهم عليه، لأنهم يشعرون بأنه عنصر فعال في هذا الأثر الضخم الذى ينشأ عن اشتراكهم في إلقاء النشيد بالصوت الجماعى.[3] و إلى جانب ذلك، فإن الأدب من حيث تفسير النص الأدبى يشتمل على ثلاثة أنواع، وهي التفسير المعجمى: وفيه يتم توضيح معاني الكلمات و دلالاتها في السياق الذي وردت فيه و دورها في توصيل أفكار معينة. و يليه

---

[1] رشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها–مناهجه و أساليبه، (إسيسكو، 1989)، ص، 204.

[2] حسن سليما قورة، دراسات تحليلية و موافق تطبيقية في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامى، (القاهرة: دار المعارف، 1981م)، ص، 231.

[3] عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسى اللغة العربية، (القاهرة: دار المعارف، 1968م)، ص، 230.

التفسير المعنوي (نسبة إلى معنى): و فيه يتم شرح الأفكار الرئيسية والثانوية و ربطها بخبرات والطفل والبيئة المحيطة به حتى يظهر لما تعلمه معنى. و الأخير هو التفسير التذوقي: و فيه تتم إبراز مواطن الجمال ببساطة، و تدريب الإنسان على إستخدام بعض المفردات ذات الدلالات الخاصة و كذلك بعض التراكيب في النص الدبي.[4]

إعتماداً على العبارات السابقة، فإن مفهوم الأدب الإسلامى هو تعبير موح عن تجربة شعورية منبثقة عن التصور الإسلامى للكون والإنسان والحياة. وهذا المفهوم يدل عليه أديب أو فنان مسلم أنه مشبع الضمير والوجدان بالتصور الإسلامى، ثم تخلف أدبه في التعبير عن ذلك التصور، عاجزاً عن التوافق والانسجام معه، لأن الأمر لا يعدو شيئاً من اثنين: إما أنه غير صادق فيما يدعيه من تشرب وتشبع بالتصور الإسلامى المذكور، و إما أن يكون سئ التعبير و ردئ التوصيل، عاجزاً عن تصوير ما في نفسه.

ب. خصائص الأدب الإسلامى

للأدب الإسلامى مجموعة من الخصائص، أهمها ما يلي:

أولاً–أن يكون تابعاً من التصور الإسلامى

التصور الإسلامى هو التفسير الإسلامى الشامل للوجود، الذي يتعامل الإنسان المسلم على أساسه مع هذا الوجود. و هو يشتمل على أربع حقائق جوهرية: حقيقة الألوهية، و حقيقة الكون، و حقيقة الإنسان، و حقيقة الحياة. فالتصور الإسلامى للكون والإنسان والحياة منبثق من الإسلام عقيدة وشريعة. و هو يبدأ من الله ثم ينتهى إليه. و أما الحقيقة الألوهية، فالله...في التصور الإسلامى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الخالق المدبرن القادر المهيمن، لا يقع في الوجود إلا ما يريده أن يقع، لا شريك له في الخلق. و أما الكون، فهو آية

---

[4] رشدي أحمد طعيمة، مناهج تدريس اللغة العربية بالتعليم الأساسي، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م)، ص، 131.

الله الكبرى، و معرض قدرته المعجز، أراده الله فكان. و قدرته تقديراً حكماً، و جعل كل شئ فيه خاضعاً لإرادته و تدبيره. (**وخلق كل شئ فقدره تقديراً، الفرقان:2**). والكون في التصور الإسلامى قسمان: غيب و شهود. والكون المغيب هو ما يسمي (عالم الغيب) و من هذا العالم: الروح، والملائكة، والجن، سدرة المنتهى، والعرش، واللوح المحفوظ، والبيت المعمور...وهلم جراً مما لا يعلمه إلا الله عزّ و جلّ، والإيما بالغيب هو أول خصائص المتقين. و أما جانب الكون المادي المشهود المتطور، فقد عرض الإسلام للكثير من ظواهره، كالشمس والقمر، والسماء والأرض، والمطر والنبات، والبحر والأنهار، والجبال والشجر والدواب... وغير ذلك.[5] وقد تكلم الإسلام عنها في بدء خلقها، و في عوارض وجودهان و في بعض نهاياتها.

ثانياً–هو أدب فكرة و ليس أدب فترة

لقد وجد الأدب الإسلامي والأدب المنحرف عن قيم الإسلام في كل عصور الأدب العربي، حتي في عصر صدر الإسلام. ...و وجدنا أيضاً أمثلة كثيرة تتجلى في المستشرقين الكبار، علماً و سناً، الذين ينشرون الكتب، و يحققون المخطوطات في الأدب واللغة والحضارة والتاريخ والجغرافيا والإجتماع، ومع ذلك يظهر لنا عجزهم عن الاستمرار في محادثة قصيرة باللغة العربية.[6] ولهذا فالأدب الإسلامي ليس أدب فترة من الفترات، ولا عصر من العصور، و إنما هو أدب فكرة، فالأديب المسلم الذي يتناول أي جانب من جوانب الحياة، وأي عنصر من عناصر الكون، وأي نشاط إنساني، و يعالجه بطريقة فنية موحية، وفق قيم الإسلام و معاييره، هو أديب مسلم. و أدبه هو أدب إسلامي. ولذلك فإن الأدب الإسلامي يتسع لكل الموضوعات، ويستوعب كل معنى كريم. فكل لون من ألوان الأدب يحمل قيمة باقية، و يدعو

---

[5] علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، (القاهرة: دار الشواف، 1991م)، ص، 183-184.

[6] حماده إبراهيم، الإتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية و اللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، (القاهرة: دار الفكر العربى، 1987م)، ص، 343.

إلى فضيلة، ويدفع إلى التفكر والتدبر والإحسان في العمل، و يقبح الترخيص والإنحراف، هو أدب إسلامي أصيل. و يضاف إلي ذلك، فليس معني كونه (إسلامياً) أن الأدب الأخرى (كافرة). فأنصار الأدب الإسلامي لا يرمون الآخرين بالكفر-معاذ الله-أن يفعل ذلك. فإن الإيمان والكفر علاقة خاصة بين الإنسان و ربه.

ثالثاً-هو أدب مفيد للحياة و الأحياء

والأدب الإسلامي ليس أدب للأدب، وإنما هو أدب مفيد لترقية الحياة وفق منهج الله و شريعته. ولا شك أن جهوداً تبذل في هذا الصدد هنا وهناك. ولكن تبقي الحقيقة، وهي أن الأدب الإسلامي يحتاج في هذه المرحلة إلي أكثر من ندوة، و أكثر من بحث. و على ذلكن فإن الأدب الإسلامي لا يقوم على الموهبة الأدبية المتفلتة مهما بلغت عبقرية الصياغة لديها. كما لا يقوم على الموهبة التي عرفت آداب الغرب وجهت التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة. و إلى جانب ذلك، فإن الأدب الإسلامي له قضية. فقضيته كقضية كل ما هو إسلامي من العلوم والفنون والمناهج والتربية والاقتصاد والثقافة وغير ذلك، وهي قضية إيمان، و علم يقوم على الإيمان، و صدق في المشاعر، وفهم للواقع، واستشراف لآفاق المستقبل، و قدرة في التعبير، و موهبة تقوم على ذلك كله. والدليل الصريح يدل على أن الأدب الإسلامي مفيد للحياة و الأحياء، فلا بد لنا أن نتعثر و نفترى التجارب الجادة والنماذج الجيدة التي نستطيع أن نبلغ إشراقة الإسلام، و أن نعبر عن الشخصيات الإسلامية والمواقف والقيم والمعايير الإسلامية التي يحتويها التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة.

رابعاً-و هو أدب واقعي

و ليس المواد بالواقعية، والواقعية المادية التي حصرت الفن والأدب في حيز صيق محدود من الحياة المادية. و بناء على ذلك، فيذهب كثير من رجال التربية الحديثة إلى أن الأدب هو

المادة المقروة،[7] ولذلك يكون الإنسان منذ أول دراسته يتعلم الأدب، فالقصة التي يستمع إليها و يسردها أدب، والأناشيد ينشدها ويتغنى بها أدب. وهذه كلها أمور واقعية. فالواقعية في الأدب الإسلامي تصوير للحياة من جميع جوانبها. وللإنسان جسماً و روحاً، و للتطورات الاجتماعية كلها سياسة واقتصاداً وتربوية، وللحياة البشرية بلحظات قوتها وضعفها. فالواقعية في الأدب الإسلامي لا ترسم صورة مزورة ولا تجعل من الشر فضيلة، و لا تجعل من الضعف بطولة، و لا تصور النقائص على أنها واقعية لازمة لا محيد عنها، ولافكاك منهان ولكن على أنها حالات عارضة على الصفحة الإنسانية المشرقة.

خامساً–وهو أدب إيجابي

تكوين الأدب إيجابي معين للإنسان على القيام بحق الخلافة في الأرض و مساعد له على القيام بإعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله تعالى. و إن الأدب الإسلامي هو أدب للحياة كل الحياة. إنه أدب يصور الطبيعة بما فيها من أرض و سماء، وما بينهما من أنجم و أقار و أبحر و أنهار، وجبال و سهول و قفار، و غيث وثلوج، وليل و نهار، وصبح و مساء، و إنه أيضاً يصور الحياة ومن ورائها يد الله القادرة المدبرة. و هو أدب يتحدث عن الإنسان من جميع جوانبه المادية والروحنية باعتباره خليفة الله في الأرض، وهذه العبارة مناسبة بقول الله تعالى: (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، البقرة:30**). و يتحدث أيضاً عن خلق الله : (**ولقد كرمنا بني آدم...**). ويصور الكون على أنه مصمم لخدمة الإنسان كي يقوم بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله تعالى: (**وسخرلكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، الجاثية: 13**). و إلى جانب ذلك، فالأدب يتكلم عن مخلوقات الله الأخرى غير الإنسان من نباتات و حيوانات و طيور مختلفة الأشكال والألوان على أنها أمم أمثال بني

[7] محمد عطية الأبراشي و أبو الفتوح التوانى، الموجز في الطرق التربوية لتدريس اللغة القومية، (القاهرة: الفجالة، دت)، ص، 155.

الإنسان. وهذه العبارات ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز: (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، الأنعام: 38**).

ج. معايير الأدب الإسلامي

من العرض السابق لمفهوم الأدب و خصائصه، ولجوانب التصور الإسلامي يمكن الوصول إلى مجموعة من المعايير التي تتوفر في العمل الأدبي الإسلامي. و سأحاول فيما يلى عرض هذه المعايير وفقاً للتصنيف المتدرج، وهي: المعايير الخاصة بحقيقة الألوهية، والمعايير الخاصة بحقيقة الكون غيبه و شهوده، والمعايير الخاصة بحقيقة الحياة غيبها و شهودها، والمعايير الخاصة بحقيقة الإنسان من حيث مركزه في الكون و وظيفته في الحياة، ثم المعايير الخاصة بأسلوب أدب الأطفال. و لتوضيح البيان التفصيلي فيما يلى:

أولا–المعايير الخاصة بحقيقة الألوهية

إن المعايير الخاصة بحقيقة الألوهية تتعلق بتصوير الأدب حقيقة الألوهية على أنها مصدر كل شئ، وإليها يعود كل شئ. والأدب يصدر عن حقيقة أن الله تعالى هو وحده الخالق المدبر، الذي بيده ملكوت كل شئ و هو على كل شئ قدير. والأدب يغرس في نفوس الناس حب الله و رسوله، و حب الصالحين من عباده. والأدب تعرض الحقيقة الإلهية–في أدب الأطفال–بطريقة صحيحة وماسية لإدراكهم و محبة لهم. والأدب يصور الله على أنه مصدر الخير والجمال والحق والحب. "...والأدب إبراز معالم الجمال فيه سواء من حيث الفكرة أو اللفظ أو الأسلوب أو الصور الخيالية أو الإيقاع الموسيقي أو غير ذلك مما يقوم عليه جمال العبارة".[8] والأدب يصور مهمة الإسلام على أنها دفع الحياة إلى التطور والترقي، ودفع الطاقات البشرية إلى الانطلاق والارتفاع والابداع. والأدب يصور العقيدة الإسلامية على أنها عقيدة

---

[8] حسين سليمان قورة، دراسات تحليلية و مواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، (القاهرة: دار المعارف، 1981م)، ص، 233.

جادة، فاعلة منشئة، تملأ فراغ النفس والحياة، وتستنفذ الطاقة البشرية في الشعور والعمل. والأدب يقدم القدوة الصالحة من حياة الرسول، وحياة الصحابة، والشخصيات الإسلامية البارزة بطريقة فنية مشوقة و موحية.

ثانياً–المعايير الخاصة بحقيقة الكون

إن المعايير الخاصة بحقيقة الكون، هو يصور الأدب الكون على أنه غيب و شهود. والأدب يصور الكون على أنه مصمم من قبل الله تعالى لخدمة الإنسان. والأدب يصور الكون على أنه شئ جميل متحرك و متعاطف مع الإنسان ومتجاوب معه.والأدب يعطي صوراً جميلةً لمخلوقات الكون، وجوانب الكون المسخرة للإنسان. والأدب يصور الجمال في الكون على أساس أنه جزء من بنية الكون الي خلقه الله جميلاً. والأدب يصور كائنات الكون على أساس أنها أمم عابدة الله لخدمة الإنسان كخليفة الله في الأرض. والأدب يكون عاملاً على تنمية القدرة على التذوق وتقدير الجمال الرباني في كل مظاهر الكون من حوله. "...والأدب كثير من المعلومات التي يتعرض لها شعراً و نثراً و تتصل بغيره من التاريخ والجغرافيا والحياة الاجتماعية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو غير ذلك مما يؤثر تأثيراً كبيراً في سعة المدارك و عمق الخبرات...".[9] والأدب يكون عاملاً على إثارة النشاط والتفكير. والأدب أيضاً يعبر عن سنة الله في الكون المتمثلة في انتصار الخير على الشر، وعلو الحق على الباطل.

ثالثاً–المعايير الخاصة بحقيقة الحياة

إن المعايير الخاصة بحقيقة الحياة يصور الأدب الارتباط والتوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة: إيماناً و عملاً. والأدب يكون هادفاً مثمراً في الحياة، و ليس مقصوداً لذاته، وليس فناً للفن، و لا أدباً للأدب. والأدب..."تعبير عن المعانيالجديدة للحياة باللغة العربية في

[9] حسين سليمان قورة، نفس المرجع، 233.

حدود مستوى الدارسين اللغوي".[10] والأدب يرسم صورة جميلة للحياة بكل أشكالها و أوضاعها. والأدب يركي في النفس فكرة أن الحياة ليست سجناً عوقب الإنسان به. والأدب يوضح جوانب التصور الإسلامي في سياسة الجكم، و سياسة المال والاقتصاد و سياسة التربية والعمل. والأدب أن لا يبالغ في التشاؤم من الحياة، و تجسيم الانحراف والمنحرفين فيها. والأدب يبرز الأهمية القصوى للأسرة في الحياة وضرورة التخصص في العمل داخلها، وفقاً لفطرة الله في أفرادها. والأدب يعين الناس على التعرف على أمتهم الإسلامية، والتعرف على دار الإسلام التي هي وطنهم. والأدب يعمل على تقوية روح التضامن والوحدة بين أقطار الأمة الإسلامية. والأدب يساهم في تربية أبناء الأمة على الوفاء بالعهود والمواثيق، ثم الإلتزام بالقيم الإسلامية. والأدب أيضاً ينمي قيم التعاون والتكافل والتراحم بعيداً عن الصراعات الطبقية والأحقاد القبيلة والعشائرية والقومية.

رابعاً–المعايير الخاصة بحقيقة الإنسان

إن المعايير الخاصة بحقيقة الإنسان يصور الأدب الإنسان على أنه مخلوق من مخلوقات الله تعالى. والأدب يهتم بإنسانية الإنسان وتكريمه. والأدب يصور الإنسان على أنه ذو طبيعة مزدوجة، والازدواج في طبيعنه لا يمكن فصله عن بعضه. "والأدب تعريف الدارسين بالقيم العربية الأصيلة التي تعبر عن شخصية الإنسان العربي في مختلف مجالات الحياة..."[11] والأدب يصور الإنسان أنه خليفة الله في الأرض. والأدب يساهم في عقد الصلة الدائمة بين القلب الإنساني و بين الله تعالى. والأدب يصور النفس على أنها كل متكامل من روح و جسم وعقل. والأدب يصور الإنسان على أنه أكرم مخلوقات الكون. والأدب يصور محاولات التأمل والتدبر الإنساني لإدراك طبيقة العلاقات الكونية. والأدب يصور الإنسان على أنه كائن إيجابي فعال. والأدب يكون تصويراً واقعياً شاملاً لحياة الإنسان كلها. والأدب يعرض الصورة النفسية

---

[10] رشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها–مناهجه و أساليبه، (الرياض: إيسيسكو، 1989م)، ص، 206.

[11] رشدي أحمد طعيمة، نفس المرجع، ص، 205.

الفردية والاجتماعية متكاملة. والأدب يساهم في جعل الإنسان يقبل على الحياة. والأدب يعبر عن حكمة خلق الإنسان من طين، ليكون قادراً على السعي في الأرض. والأدب يساعد الإنسان على فهم أن الحياة فيها منافع. والأدب أن لا يركز على لحظات الضعف الإنساني و لحظات السقوط والهوان في حياة الإنسانز والأدب يكون تعبيراً عن تجربة شعورية صادقة. والأدب أن لا يركز على حالات الضعف البشري، ويجعل منها بطولة. والأدب أيضاً يؤكد على تعبير عن الشخصيات التي تعلى شان الفضيلة والقيم الرفيعة.

و هذه هي أهم المعايير أو المواصفات التي يجب أن تتوفر في الأدب الإسلامي. وهذه المعايير أيضاً يمكن استخدامها بشكل أو بآخر للحكم على نوعية الإنتاج الأدبي العام أو الخاص و توجيهه. ومع ذلك، فإن الأدب الإسلامي في حاجة إلى متابعة نقدية، لإنقاذ النص الإبداعي الإسلامي من الأخطاء الفنية التي يمكن أن تقع في مبناه أو في معناه، سواء كان أدباً للكبار أو كان أدباً للصغار أو للأطفال.

د. الخلاصة أو نتائج الكتابة

بعد القيام بالبحث التفصيلي والبيان الجلي المتتابع، فيأتي الكاتب بالخلاصة أو النتائج فيما يلي:

إن الأدب في التصور الأسلامي هو تعبير موح عن تجربة شعورية منبثقة عن التصور الإسلامى للكون والإنسان والحياة الذى يدل على أديب أو فنان مسلم أنه مشبع الضمير والوجدان بالتصور الإسلامى، ثم تخلف أدبه في التعبير عن ذلك التصور، عاجزاً عن التوافق والانسجام معه، لأن الأمر لا يعدو شيئاً من اثنين: إما أنه غير صادق فيما يدعيه من تشرب وتشبع بالتصور الإسلامى المذكور، و إما أن يكون سئ التعبير و ردئ التوصيل، عاجزاً عن تصوير مافي نفسه. وهذا الأدب في التصور الإسلامي لا تخلو من إشتماله على حقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الإنسان، ثم حقيقة الحياة.

* * *

مراجع الكتابة العلمية

إبراهيم، عبد العليم. 1968م. *الموجه الفني لمدرسى اللغة العربية*. القاهرة: دار المعارف ، الطبعة العاشرة.

إبراهيم، حماده حماده. 1987م. *الإتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها*. القاهرة: دار الفكر العربي،.

التواني، محمد عطية الأبراشي و أبو الفتوح محمد. دت. *الموجز في الطرق التربوية لتدريس اللغة القومية*، القاهرة: الفجالة.

طعيمة، رشدي أحمد. 1998م. *مناهج تدريس اللغة العربية بالتعليم الأساسي*. القاهرة: دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى.

-------.1989م. *تعليم العربية لغير الناطقين بها-مناهجه و أساليبه*. الرياض: إيسيسكو،.

مدكور، على أحمد.1991م. *تدريس فنون اللغة العربية*. القاهرة: دار الشواف.

الهاشمى، عابد توفيق. 1983م. *الموجه العملي لمدرس اللغة العربية*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ، الطبعة الثالثة.

قورة، حسين سليما. 1981م. *دراسات تحليلية و مواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي*. القاهرة: دار المعارف، ، الطبعة الأولى.